Journal of Humaities - مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
https://repository.sustech.edu/handle/123456789/16997
Sudan University of Science and Technology جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

# الصمت في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي (استراتيجية نفسية)

* د. سلوى عثمان أحمد
أستاذ الأدب والنقد المشارك (كلية الآداب - جامعة النيلين)
Salwaosmann2000@gmail.com

**المستخلص:**

يهدف هذا البحث المعنون بـ »الصمت كإستراتيجية نفسية في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي «إلى الكشف عن الأبعاد النفسية والجمالية لمفهوم الصمت كما تجلّى في الرواية، من خلال تحليلٍ نقديٍّ يستند إلى المنهج النفسي التحليلي.

تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الآتي :كيف يتحوّل الصمت في الرواية من مجرّد غيابٍ للكلام إلى لغةٍ بديلة تعبّر عن التمزّق الداخلي للشخصيات وعن خيبة الوطن بعد الاستقلال؟

اعتمدت الدراسة على المنهج النفسي التحليلي مستفيدةً من مفاهيم سيغموند فرويد حول الكبت واللاوعي، ومن تصوّرات كارل غوستاف يونغ حول "الظلّ "و"الذات"، للكشف عن الصمت بوصفه آليةً دفاعيةً نفسيةً من جهة، وبنيةً فنيةً سرديةً من جهة أخرى.

أظهرت النتائج أنّ الصمت في رواية ذاكرة الجسد ليس موقفًا سلبيًا؛ بل إستراتيجية وجودية تعبّر عن التوتر بين الرغبة والخوف، وبين الذاكرة والنسيان، وبين الوطن والفرد .فصمت خالد يكشف عن جرحٍ نفسيٍّ واغترابٍ وجوديٍّ بعد الثورة، بينما صمت حياة يمثل مقاومة أنثوية واعية ضدّ مجتمعٍ يقمع الصوت الأنثوي .ويتجاوز الصمت في النهاية حدود الفرد ليصبح ذاكرةً جماعيةً للوطن الذي اختار السكوت بوصفه شهادةً على الألم والتاريخ.

كما خلص البحث إلى أنّ أحلام مستغانمي جعلت من الصمت أداة فنية لبناء السرد، حيث تحوّل السكوت إلى لغة شعرية تُكمل ما تعجز الكلمات عن قوله، وتكشف عن عمق التجربة الإنسانية في بعدها النفسي والوطني والجمالي.

**الكلمات المفتاحية: الصمت، التحليل النفسي، اللاوعي، أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، الاغتراب، الجرح النفسي.**

**Abstract**

This research, entitled “Silence as a Psychological Strategy in Ahlam Mosteghanemi’s Memory in the Flesh,” aims to explore the psychological and aesthetic dimensions of silence as represented in the novel. The study investigates how silence transforms from a mere absence of speech into an expressive language that reveals the characters’ inner fragmentation and the nation’s post-independence disillusionment.

The research adopts the psychoanalytic approach, drawing on Sigmund Freud’s concepts of repression and the unconscious, as well as Carl Gustav Jung’s notions of the “shadow” and the “self.” Through this approach, silence is examined as both a defensive psychological mechanism and an artistic narrative structure within the novel.

The findings demonstrate that silence in Memory in the Flesh is not a passive state but rather an existential strategy expressing tension between desire and fear, memory and forgetfulness, individual and homeland. Khaled's silence reflects psychological trauma and existential alienation, while Hayat's silence embodies a conscious feminine resistance to a patriarchal society. Ultimately, silence transcends the individual to become a collective national memory – the voice of a wounded homeland choosing silence as testimony to pain and history.

The research concludes that Ahlam Mosteghanemi transforms silence into an aesthetic and poetic tool, turning absence into meaning and revealing the depth of human experience through what remains unspoken.

**Keywords: Silence, Psychoanalysis, Unconscious, Ahlam Mosteghanemi, Memory in the Flesh, Alienation, Psychological Trauma.**

**المقدمة:**

يُعدّ الصمت من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدًا وعمقًا، إذ يختزن في ثناياه معانيَ تتجاوز حدود اللغة والنطق. فالصمت ليس فراغًا صوتيًا أو توقفًا عن الكلام، بل هو موقف وجودي يحمل دلالات الرفض والاحتجاج، والانكسار والمقاومة، والسكوت عن القول حين لا تسعف اللغة في التعبير عن الألم. وقد شكّل هذا المفهوم محورًا أساسيًا في الأدب والفكر الإنساني، لما ينطوي عليه من طاقة تعبيرية وإيحائية عميقة، تُتيح للنصوص الأدبية أن تقول الكثير عبر ما لا يُقال.

وفي الأدب العربي الحديث، لم يكن الصمت مجرّد سمة لغوية أو تقنية سردية، بل أصبح أداة فنية ونفسية تُعبّر عن أزمات الإنسان العربي في ظلّ التحوّلات السياسية والاجتماعية والوجدانية. فهو يعكس مأزق الذات بين الرغبة في البوح والخوف من المواجهة، وبين الصراخ الداخلي والانكسار الخارجي. وتُعدّ رواية »ذاكرة الجسد« للكاتبة أحلام مستغانمي نموذجًا متميزًا لتوظيف الصمت بوصفه بنية نفسية وجمالية في آنٍ واحد، إذ يتجاوز حدود الشخصية إلى الوطن، ويتحوّل إلى لغة تعبّر عن الوجع الجمعي بقدر ما تكشف عن الألم الفردي.

تطرح الرواية تجربة إنسانية مأزومة، تتمحور حول شخصيتين أساسيتين هما خالد الرسّام المجاهد السابق الذي يعيش اغترابًا داخليًا بعد بتر ذراعه وخسارة وطنه، وحياة ابنة الشهيد التي تحمل في داخلها ذاكرة مثقلة بالصمت والخذلان. يتقاطع مصير الشخصيتين في لحظة حبٍّ جريحة، يغدو فيها الصمت لغة التواصل الوحيدة، ومأوى النفس المرهقة من الهزائم. وهكذا يصبح الصمت في الرواية مساحة للبوح المؤجل، ووسيلة لاستعادة الذات في مواجهة الواقع المأزوم.

إشكالية الدراسة وأهدافها:

تنبع إشكالية هذا البحث من الرغبة في الكشف عن الأبعاد النفسية والجمالية للصمت في رواية »ذاكرة الجسد«، وفهم دوره في تشكيل الشخصية وبناء المعنى. فالصمت في هذه الرواية ليس مجرد حالة شعورية، بل هو خطاب موازٍ للكلام، يكشف عن المناطق المظلمة في النفس، وعن اللاوعي الجمعي الذي يختزن الهزيمة والخذلان.

ومن هنا تتمحور الإشكالية الرئيسة حول السؤال الآتي: كيف يوظَّف الصمت في رواية »ذاكرة الجسد« بوصفه آلية دفاع نفسي ورمزًا فنيًا دالًا على الاغتراب والذاكرة والخذلان؟

ويتفرّع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الجزئية، منها:

1/ كيف يتجلّى الصمت في شخصية خالد كآلية دفاع ضد الألم والحنين؟

2/ وما دلالاته في شخصية حياة بوصفه مقاومة صامتة للقيود الاجتماعية والعاطفية؟

3/ وكيف يتّخذ الصمت بعدًا جماعيًا يرمز إلى الوطن وذاكرته الجريحة؟

**أهداف البحث:**

أما أهداف البحث فتتمثّل في تحليل مفهوم الصمت من منظور نفسي وفني، والكشف عن العلاقة بين الصمت والهوية والذاكرة في النص الروائي، وبيان كيفية توظيف أحلام مستغانمي للصمت بوصفه لغة سردية بديلة عن القول.

**منهج الدراسة وأهميتها:**

ينطلق هذا البحث من المنهج النفسي في تحليل النص الأدبي، باعتباره أداة للكشف عن البنية الداخلية للشخصيات، وفهم دوافعها وسلوكها في ضوء الصراع بين الواقع والرغبة، بين الوعي واللاوعي. ويستفيد التحليل كذلك من المقاربة الرمزية والجمالية التي ترى في الصمت عنصرًا فنيًا يُسهم في بناء الدلالة عبر الإيحاء لا التصريح.

وتتجلّى أهمية الدراسة في أنها تُقدّم قراءة مغايرة لرواية »ذاكرة الجسد«، إذ تتجاوز القراءة السياسية والتاريخية المألوفة إلى تحليل البعد النفسي للصمت، بوصفه مرآة للذات الإنسانية في لحظة انكسارها القصوى. كما تكشف عن قدرة اللغة الروائية على تحويل الصمت إلى خطابٍ موازٍ يُفصح عن أعماق الشخصية أكثر مما تفعل الكلمات.

**مصطلحات البحث:**

لأغراض هذه الدراسة يكون للمصطلحات الواردة المعنى المبين أمام كل منها:

1/ الاستراتيجية النفسية:

تُعرَّف الاستراتيجية النفسية بأنها مجموعة من الآليات الذهنية والانفعالية التي يعتمدها الفرد لمواجهة حالات التوتر، أو الصراع، أو التهديد النفسي، بهدف الحفاظ على التوازن الداخلي أو التكيّف مع الواقع (Lazarus & Folkman، 1984: 141) وتقوم هذه الاستراتيجيات على وعي الفرد بالوضع الضاغط، واختياره أساليب محددة للتعامل معه، سواء عبر المواجهة المباشرة أو عبر آليات غير مباشرة.

ويذهب لازاروس إلى أن الاستراتيجية النفسية لا تُختزل في الفعل السلوكي الظاهر، بل تشمل الاستجابات الداخلية مثل الكبت، الصمت، إعادة التأويل، أو الانسحاب، وهي جميعها وسائل دفاعية تهدف إلى حماية الذات من الانهيار النفسي ومن هذا المنطلق، يُعد الصمت إحدى الاستراتيجيات النفسية التي يلجأ إليها الفرد عندما يعجز الكلام عن أداء (Lazarus، وظيفته التعبيرية أو عندما يتحول الإفصاح إلى مصدر تهديد (1991: 39).

وفي السياق السردي، تُفهم الاستراتيجية النفسية بوصفها آلية دلالية تكشف عن وعي الشخصية بذاتها وبالعالم المحيط بها، حيث يتحول الصمت من حالة سلبية إلى اختيار نفسي واعٍ فرويد، (يعكس موقفًا وجوديًا أو مقاومة ضمنية للسلطة أو الألم وعليه، فإن الصمت في النص الأدبي لا يمثل فراغًا دلاليًا، بل يحمل شحنة نفسية ورمزية تعبّر عن صراع داخلي مكتوم (1992: 67).

2/ الصمت:

لغةً:

يُعدّ الصمت من المفاهيم التي تجمع بين التناقض والعمق، فهو في آنٍ واحد غياب وحضور، وسكون ونطق داخلي.

في اللغة العربية، ورد في لسان العرب أن الصمت هو الإمساك عن الكلام مع القدرة عليه، أي أنه فعل اختياريّ يعكس الوعي والموقف لا العجز (ابن منظور، د.ت، ج4، ص 258). وهذا ما يميّزه عن السكوت، الذي يُفهم عادة على أنه امتناع عابر عن الكلام دون إرادة. إذًا، فالصمت في جوهره لغة غير منطوقة، تُستخدم للتعبير عن الرفض، أو الألم، أو الحذر، أو حتى الحكمة.

اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح العام، فقد تطوّر المفهوم ليشمل أبعادًا نفسية واجتماعية وجمالية. فمن الناحية النفسية، يرتبط الصمت بآليات الكبت والإنكار والدفاع عن الذات في مواجهة الصدمات أو الخيبات (Freud, 2008, p. 134) ومن الناحية الاجتماعية، يُعبّر عن موقف الجماعة أمام سلطةٍ قاهرة أو واقعٍ لا يُحتمل.

أما من الناحية الجمالية، فقد أصبح الصمت جزءًا من بنية التعبير الفني، يُسهم في خلق التوتر والإيحاء داخل النص الأدبي .(Steiner, 1967, p. 23)

**الدراسات السابقة:**

تنوّعت الدراسات التي تناولت رواية »ذاكرة الجسد« بين مقاربات لغوية وسردية ونفسية وجمالية، غير أنّ أغلبها ركّز على البعد الوطني والرمزي، بينما قلّما تمّت مقاربة ظاهرة الصمت بوصفها بنية نفسية وجمالية متكاملة.

فقد تناولت بعض الدراسات البعد الرمزي والوطني في أعمال أحلام مستغانمي، مبيّنةً كيف تجسّد الرواية ذاكرة الجزائر بعد الاستقلال من خلال علاقة الفرد بالجماعة، والجرح الجمعي بالذاكرة الفردية. وركّزت أخرى على تحليل الأسلوب الشعري في السرد، حيث تماهى الصوت الأنثوي مع لغة الحنين والاغتراب.

أما الدراسات التي اقتربت من البعد النفسي، فقد وقفت عند الحنين والاغتراب دون أن تفصّل في الصمت بوصفه آلية دفاع نفسي، أو باعتباره لغة بديلة عن الكلام.

ومن أبرز ما ورد في هذا السياق: دراسة بعنوان »دلالة الصمت في رواية ذاكرة الجسد«، التي تناولت مظاهر الصمت في النص من منظور رمزي، لكنها لم تتعمّق في تحليل البنية النفسية للشخصيات؛ ودراسة أخرى بعنوان »الصمت في السرد الروائي العربي الحديث«، ركّزت على الصمت بوصفه تقنية فنية دون الربط بينه وبين التحليل النفسي للشخصية الروائية. كما أُنجزت بعض البحوث الجامعية التي قارنت بين توظيف الصمت في روايات مستغانمي الثلاث) ذاكرة الجسد«، » فوضى الحواس«، »عابر سرير(«، مركّزةً على البعد اللغوي والجمالي دون التوسّع في المنظور النفسي.

وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى سدّ الفراغ النقدي في هذا المجال، من خلال مقاربة ظاهرة الصمت بوصفها استراتيجية نفسية وجمالية تتجلّى في البناء الفني لرواية »ذاكرة الجسد«، وفي تمثيلها لأزمة الذات العربية بين القول والكتمان، بين الكلام والسكوت، بين حضور الذاكرة وصمتها.

**ادبيات الدراسة:**

**الصمت في اللغة والفكر والدراسات النقدية الحديثة:**

1/ الصمت في الفكر الشرقي:

في الفكر الشرقي، يتخذ الصمت طابعًا روحيًا وتأمليًا عميقًا، إذ يُنظر إليه كطريقٍ إلى الصفاء الداخلي ومعرفة الذات. ففي الفلسفة الطاوية، يقول لاوتسو في كتاب التاو تي تشينغ: "الذي يعرف لا يتكلم، والذي يتكلم لا يعرف ". (Lao Tzu, 1963, p. 56) هذا القول يعكس فكرة أن الحكمة لا تُنال بالكلام بل بالتأمل والصمت، لأنّ المعرفة الحقة تتجاوز اللغة.

وفي الفلسفة الهندوسية، يُعدّ الصمت (Mauna)ممارسة زهدية سامية، تهدف إلى التوحد مع الكيان الكوني عبر تطهير النفس من ضجيج العالم .(Radhakrishnan, 1953, p. 92)

أما في البوذية، فالصمت هو وسيلة للوصول إلى التنوير (Nirvana)، لأنه يكشف عن الحقيقة عبر الإنصات الداخلي. وهكذا يتضح أن الصمت في الفكر الشرقي ليس انقطاعًا عن العالم، بل اتصال أعمق بالوجود، بوصفه وسيلة للمعرفة والصفاء الذهني.

2/ الصمت في الفكر الفلسفي الغربي:

انتقل مفهوم الصمت في الفلسفة الغربية من المجال الروحي إلى المجال المعرفي والجمالي.

فقد رأى لودفيغ فيتغنشتاين في الرسالة المنطقية الفلسفية أن اللغة عاجزة عن التعبير عن كل ما هو جوهري، ومن ثمّ: "ما لا يمكن الحديث عنه ينبغي أن نصمت حياله (Wittgenstein, 1961, p. 189)

بهذا المعنى، يصبح الصمت حدًّا للمعرفة، وإقرارًا بوجود منطقة يتعذر على اللغة بلوغها.

وفي الفكر الوجودي الحديث، مثّل الصمت عند جان بول سارتر وألبير كامو مظهرًا من مظاهر العبث والاغتراب، إذ يعبّر عن عجز الإنسان عن التواصل في عالمٍ فقد المعنى.

ثم جاء رولان بارت ليعيد الاعتبار للصمت بوصفه لغة داخل اللغة، حيث يرى في كتابه درجات الصفر في الكتابة أن الصمت يمثل »الدرجة الصفر للكتابة«، أي الحالة التي يتحوّل فيها الغياب إلى خطابٍ دلاليٍّ يعكس موقف الكاتب من اللغة والسلطة .(Barthes, 1992, p. 14) وفي لذة النص، يذهب بارت أبعد حين يقول: "إنّ الصمت هو ما يجعل النص حيًّا، لأنه الفضاء الذي تُخلق فيه الرغبة". (Barthes, 1990, p. 72) فالصمت عند بارت ليس فراغًا لغويًا، بل فضاءٌ جماليٌّ خصب يُتيح للقارئ المشاركة في إنتاج المعنى.

3/ الصمت في الدراسات النقدية الحديثة:

تطوّر مفهوم الصمت في النقد الحديث ليصبح عنصرًا بنيويًا في النصوص الأدبية، خاصة مع ظهور البنيوية والتحليل النفسي. فقد رأى جورج شتاينر في كتابه Language and Silence أن العصور المأساوية من التاريخ الإنساني، كالحروب والمجازر، تفرض على الأدب الصمت، لأنّ اللغة تعجز عن احتواء الفاجعة .(Steiner, 1967, p. 39)

أما سارة ميتلاند في كتابها A Book of Silence، فترى أن الصمت ليس انقطاعًا عن العالم، بل تجربة إنسانية خلاقة تمكّن الفرد من إعادة الاتصال بذاته وبالوجود .(Maitland, 2008, p. 89)

وفي النقد العربي الحديث، تناول سعد البازعي (2005م) الصمت بوصفه أحد أوجه البلاغة المعاصرة في الأدب العربي، معتبرًا إياه بلاغة الغياب التي تتجلى في ما يُسكَت عنه أكثر مما يُقال.

كما أشار صلاح فضل (1992) إلى أن الصمت في الخطاب الأدبي يمثل جزءًا من علم النص الحديث، إذ إنّ ما يُخفى في البنية النصية لا يقلّ أهمية عمّا يُصرَّح به.

وبذلك يتضح أن الدراسات النقدية الحديثة قد تجاوزت النظر إلى الصمت بوصفه مجرّد انعدام للكلام، لتراه بنية فكرية وجمالية تعبّر عن الإنسان في صمته بقدر ما تعبّر اللغة عنه في كلامه. إنه فضاءٌ للمعنى الخفيّ، ومجالٌ خصب لتفاعل الوعي واللاوعي، والفكر والعاطفة، والبوح والكتمان.وهكذا يتكامل المنظوران النفسي والأدبي في فهم الصمت بوصفه بنية دلالية ونفسية مزدوجة:

فهو في علم النفس آلية دفاعٍ وكبتٍ ورفضٍ، وفي الأدب إستراتيجية جمالية تُثري النص بالتأويل وتمنحه عمقًا وجوديًا.

إن الصمت لا يُقصي اللغة، بل يُكملها؛ فهو ما بين الكلمات، وفضاء المعنى الذي يُفصح عمّا تعجز اللغة عن قوله.

**الصمت في الأدب والرواية العربية المعاصرة :اللغة، الأنواع، الدلالات، والتوظيف:**

**العلاقة بين الصمت واللغة:**

تُعد العلاقة بين الصمت واللغة من أكثر العلاقات تعقيدًا في الفكر الإنساني، إذ يُنظر إلى الصمت لا بوصفه نقيضًا للغة، بل جزءًا منها .فالصمت هو الوجه الآخر للكلام، والحدّ الذي تتوقف عنده اللغة لتُفسح المجال لمعنى أعمق .يرى لودفيغ فيتغنشتاين أن "حدود لغتي هي حدود عالمي، وما لا يمكن الحديث عنه ينبغي أن نصمت حياله "(فيتغنشتاين، 1961م، ص 189).

بهذا المعنى، يصبح الصمت امتدادًا للغة لا غيابًا عنها، لأنه يعبّر عن ما يتجاوز قدرتها على التعبير. أما رولان بارت فيربط بين الصمت واللغة على نحو جدلي، إذ يرى أن "الصمت ليس ضد الكلام، بل هو شكله الآخر "(بارت، 1990م، ص 72).

فاللغة لا تُدرك إلا من خلال الصمت الذي يحيط بها؛ إنه الفضاء الذي يُولد فيه المعنى، ويُعيد القارئ إنتاجه .ومن ثمّ فإن الصمت يشكّل في النص الأدبي منطقة تفاعل بين القول واللاّقول، بين الإفصاح والكتمان.

ويشير رومان ياكبسون إلى أن التواصل لا يتحقق بالكلمات فقط، بل أيضًا بـ السكوت المقصود الذي يحمل معنى موازٍ للمنطوق (ياكبسون، 1960م، ص 354). وهكذا يتحوّل الصمت من حالة عدم إلى وسيلة تعبير دلالي تماثل اللغة في فاعليتها الرمزية.

**أنواع الصمت:**

يُصنّف الباحثون الصمت إلى أنواع متعدّدة بحسب وظيفته ودلالته، ويمكن تلخيص أبرزها فيما يأتي:

أ/ الصمت النفسي: وهو صمت ناتج عن الكبت أو الألم أو الخوف، ويعبّر عن اضطراب داخلي أو صراع لا واعٍ (فرويد، 2008م، ص 134).

ب/ الصمت الاجتماعي: يحدث استجابةً للسلطة أو العرف أو التقاليد، حيث يصمت الفرد اتقاءً للعقوبة أو احترامًا للقيم السائدة (غوفمان، 1959م، ص 112).

ج/ الصمت التأملي: وهو صمت الإرادة والوعي، حيث يختار الفرد الامتناع عن الكلام بغرض التفكير أو التعبير الرمزي (يونغ، 1989م، ص 41).

د/ الصمت الجمالي: ويتجلى في الفنون والآداب كوسيلة فنية مقصودة، تتيح مساحة للإيحاء والتأمل (بارت، 1992م، ص 14).

ويشير صلاح فضل (1992م) إلى أن الصمت الجمالي هو "بلاغة الغياب "التي يتكوّن من خلالها المعنى بقدر ما يُحجب، وأن النص الأدبي يكتسب عمقه من تلك الفجوات الصامتة التي تفصل بين الكلمات وتوحّد بينها في آن واحد.

**دلالات الصمت في الأدب:**

يتخذ الصمت في الأدب دلالاتٍ متعددة تتجاوز الصمت الفيزيائي إلى الصمت الرمزي والنفسي والجمالي.

فقد يكون الصمت علامة على الخوف أو القهر في السياقات التراجيدية، أو علامة على السمو والتأمل في النصوص الصوفية، أو علامة على التمرّد والرفض في الأدب السياسي الحديث.

يرى جورج شتاينر أن الصمت في الأدب الحديث "استجابة جمالية لأزمنة فقدت قدرتها على القول"، فبعد الحروب والمآسي، يصبح الصمت هو الشكل الأصدق للخطاب (شتاينر، 1967م، ص 39).

كما يرى سعد البازعي (2005م) أن الصمت في الأدب العربي "بنية دلالية تتقاطع فيها اللغة والثقافة والسياسة"، فهو لا يعني غياب القول بل إعادة صياغته على نحوٍ رمزي.

وفي النقد النسوي العربي، يُعتبر الصمت أحيانًا لغة المقاومة، إذ تلجأ إليه المرأة لتفادي القهر اللغوي والاجتماعي، محوّلةً سكوتها إلى شكل من أشكال الحضور الصامت (أبو ديب، 1999م، ص 211).

**توظيف الصمت في الرواية العربية المعاصرة:**

شهدت الرواية العربية المعاصرة حضورًا واسعًا لمفهوم الصمت، سواء بوصفه بنية سردية أو أداة نفسية أو رمزًا ثقافيًا. ففي أعمال نجيب محفوظ، مثل اللص والكلاب، يتحوّل الصمت إلى صرخة داخلية تعبّر عن عجز البطل أمام عبث الواقع.

أما في روايات أحلام مستغانمي، ولا سيما ذاكرة الجسد، فإن الصمت يصبح آلية دفاع نفسي أمام الخيبة والخذلان، ووسيلة للتعبير عن الجرح الجمعي والاغتراب (مستغانمي، 1993م، ص88).

يقول الراوي" :نصمت لأنّ الكلام جرح آخر"، وهو تعبير مكثّف عن الصمت كاستجابة للخذلان العاطفي والسياسي في آنٍ واحد. وفي روايات غسان كنفاني، مثل رجال في الشمس، يتحول الصمت إلى رمز للمأساة الفلسطينية، إذ يختار الأبطال الصمت حتى الموت، في إشارة إلى العجز الجمعي عن الكلام والمقاومة (كنفاني، 1962م، ص 77). كذلك استثمرت الروائية هدى بركات الصمت في رواياتها كصوتٍ خفيّ للذاكرة والحرب، حيث يصبح السكوت لغة البديل عن الكلام المستحيل (بركات، 1998م، ص 115).

وهكذا يتضح أن توظيف الصمت في الرواية العربية المعاصرة لم يعد مجرد تقنية فنية؛ بل أصبح خطابًا رمزيًا يعكس أزمات الوجود والهويّة والذاكرة، ويمنح النص بعدًا نفسيًا وجماليًا عميقًا .

**الدراسة التطبيقية:**

**الصمت في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي:**

تُجسّد رواية ذاكرة الجسد (1993م) لأحلام مستغانمي تجربةً سردية عميقة يتقاطع فيها النفسي بالسياسي، والذاتي بالجماعي .ومن أبرز ما تميزت به الرواية توظيفها المكثف للصمت كآلية دفاع نفسي وكبنية دلالية تعبّر عن الجرح والفقد والاغتراب .فالشخصيتان الرئيسيتان، خالد بن طوبال وحياة، تمثلان وجهين متقابلين لصمتٍ واحد، تتوزع فيه الهوية بين الذكر والأنثى، الماضي والحاضر، الكلام والسكوت .وبالتحليل النفسي لهما يتكشف الصمت بوصفه لغة بديلة للبوح، ووسيلة لحماية الذات من التصدع تحت وطأة الذاكرة والخذلان.

أولاً: الصمت كآلية دفاع نفسي عند خالد:

يقدَّم خالد في الرواية بوصفه فنانًا جريحًا جسدًا وروحًا، يحمل آثار الحرب والوطن والخذلان العاطفي.تظهر ملامح شخصيته منذ الصفحات الأولى محكومة بآلية نفسية تقوم على الكبت (Repression)والإسقاط (Projection) كما عرّفها (سيغموند فرويد، 2008م، ص 134)، حيث يلجأ الأنا إلى إخفاء مشاعره المؤلمة في اللاوعي حتى لا تُهدّد توازنه الداخلي.

يقول خالد في أحد المقاطع: كنتُ أتكلم لأخفي صمتي الحقيقي". (مستغانمي، 1993م، ص 45)

هذا التصريح يكشف بوضوح أن الكلام لديه ليس للتعبير بل لإخفاء الصمت، أي أن الصمت هو اللغة الأصلية، بينما الكلام مجرد قناع.

ويشير فرويد إلى أن "الأعراض العصابية ليست إلا شكلاً من أشكال عودة المكبوت إلى السطح (Freud, 2008, p. 151)"، وهكذا يمكن فهم صمت خالد كـ"عرض نفسي "يعود ليكشف ما حاول وعيه إخفاءه.في لحظات المواجهة مع الألم، يتراجع خالد إلى مساحة صمته الداخلي، كما في قوله:

"صمتُ كي لا يتهشم ما تبقى مني ".(مستغانمي، 1993م، ص 63)

إنه صمت دفاعيّ يهدف إلى حماية الذات من الانهيار، تمامًا كما أشار (يونغ، 1989م، ص 41) إلى أن الإنسان حين يعجز عن التكيف مع الألم يلجأ إلى "الظلّ"، أي إلى منطقة اللاوعي المظلمة التي تحفظ التوازن بين الأنا والمكبوت.

ويتّخذ صمت خالد أحيانًا طابعًا فلسفيًا وجوديًا، فهو لا يصمت فقط خوفًا، بل لأن اللغة تخونه في التعبير عن عمق الجرح.وهنا يلتقي خالد مع ما عبّر عنه لودفيغ فيتغنشتاين حين قال" :ما لا يمكن الحديث عنه يجب أن نصمت حياله (Wittgenstein, 1961, p. 189)"؛ فخالد، الذي فقد ذراعه في الحرب، يعاني فقدانًا آخر هو العجز عن النطق بالذاكرة، فيتحول صمته إلى لغة جرحٍ لا يُترجم بالكلمات.

ثانياً: الصمت كإستراتيجية أنثوية عند حياة:

إذا كان صمت خالد نابعًا من الألم والكبت، فإن صمت حياة ينبع من الوعي والسيطرة.فهي تمثل النموذج الأنثوي الذي يتحدث بالصمت، وتستخدم السكوت كأداة قوة رمزية أمام عالمٍ يهيمن عليه الكلام الذكوري.

يقول خالد عنها: (كانت حياة صامتة كما لو أن الكلام خيانة.) (مستغانمي، 1993م، ص 102)

هذا الصمت الأنثوي لا يعني الاستسلام، بل هو ما سمّته (سارة ميتلاند، 2008م، ص 89) بـ"سلطة الصمت"، أي أن السكوت يصبح اختيارًا واعيًا للمقاومة، لا قيدًا مفروضًا.وبذلك يتحول الصمت إلى لغة أنثوية بديلة تعبّر عن حضورها في مواجهة سلطة القول الذكوري.

تقدّم مستغانمي من خلال حياة نموذج المرأة التي تعي حدود اللغة وأخطارها، فتختار الصمت لتعيد تعريف التواصل.وهذا يتقاطع مع رؤية (جاك لاكان، 1977م، ص 210). الذي يرى أن اللاوعي منظم مثل اللغة، وأن الصمت ليس غيابًا بل شكل من أشكال القول المكبوت.

إنّ حياة إذًا لا تصمت لأنها ضعيفة، بل لأنها تعرف أن الكلام لا يمنحها ذاتها، بل يعيد إنتاج خضوعها داخل نظام اللغة الذكوري.وفي لحظات اللقاء بين خالد وحياة، يتجسد الصمت بينهما كمنطقة توتر عاطفي ونفسي،حيث تتحوّل المسافة الصامتة إلى فضاء من الرغبة المكبوتة والذاكرة الجريحة،كما في قول خالد: تحدّثنا كثيرًا، ومع ذلك ظلّ بيننا ذلك الصمت الذي لا يُقال". (مستغانمي، 1993م، ص 153)

إنه الصمت بوصفه لغة مشتركة بين الجرحين، الذكوري والأنثوي، بين من فقد ذراعه ومن فقدت صوتها، في وحدة رمزية تجمعهما على صعيد اللاوعي الجمعي.

ثالثاً: الصمت كجسر بين الأنا والآخر:

يُعد الصمت أيضًا في الرواية جسرًا للتواصل غير المنطوق بين الشخصيتين. فمن خلال الصمت تتجاوز الرواية حدود الحوار اللفظي لتصل إلى حوار داخلي قائم على الإدراك الحدسي والمشاعر غير المعلنة.

يقول خالد: صمتُها كان لغتي، وغيابها حضوري". (مستغانمي، 1993م، ص 167)

هذا ما يسميه (رولان بارت، 1990م، ص 72) "اللذة الصامتة للنص"، حيث يتولد المعنى من الفجوات والسكوتات أكثر مما يتولد من الكلمات. الصمت هنا ليس فراغًا ؛ بل امتلاء بالمعنى، وهو ما يجعل الرواية تجربة لغوية تتحدث أكثر حين تسكت.

من خلال التحليل النفسي لشخصيتي خالد وحياة، يتضح أن الصمت في ذاكرة الجسد هو اللغة الخفية التي تحكم السرد،فهو عند خالد آلية دفاع نفسي وجدار يحمي الذات من الانكسار،وعند حياة إستراتيجية أنثوية تتحدى السلطة عبر الغياب، وفي تفاعلهما يتحول الصمت إلى حوار داخلي تتكشّف فيه الرغبة والذاكرة المكبوت. وبذلك يمكن القول إن مستغانمي قد جعلت من الصمت بطلًا سرديًا يوازي الشخصيات في حضوره وتأثيره النفسي والجمالي.

رابعاً: الصمت كذاكرة وجرح وطني في رواية ذاكرة الجسد:

يشكّل الصمت في رواية ذاكرة الجسد بُعدًا رمزيًا عميقًا يتجاوز حدود الذات الفردية إلى فضاء الذاكرة الوطنية الجمعية.فهو ليس فقط لغة شخصية أو نفسية، بل صوت الوطن الصامت، وذاكرة الجرح الذي لم يُلتئم بعد.

من خلال شخصيتي خالد وحياة، تُعيد مستغانمي صياغة العلاقة بين الفرد والذاكرة الوطنية عبر خطابٍ لغته الأساسية هي الصمت، ذلك الصمت الذي يُعبّر عن خيبة جيلٍ حلم بالحرية فوجد نفسه محاصرًا بالخذلان السياسي والإنساني.

الصمت هنا يتحوّل إلى أرشيف للوجع الجماعي، وإلى رمز لما سمّاه (جورج شتاينر، 1967م، ص 39) "اللغة بعد الكارثة"، أي اللغة التي تتوقف عن الكلام لأن المأساة تفوق قدرتها على التعبير.

**الصمت بوصفه ذاكرة للجرح الثوري:**

تبدأ الرواية بذاكرة الحرب والتحرر الوطني، غير أن خالد – وهو المجاهد السابق – يكتشف أن الثورة التي حملت السلاح قد صمتت بعد الاستقلال، وأن الصمت أصبح غطاءً للخذلان.

يقول خالد: كل ما لم نقله عن الجزائر، قاله صمتنا عنها". (مستغانمي، 1993م، ص 221)

في هذا القول، يختزل الراوي مأساة وطنٍ حوّل الصمت إلى وسيلة نسيان، وإلى لغة تواطؤ جماعي مع الألم.إنّه صمتُ المنكسر بعد النصر، وصوت الذاكرة التي لم تجد من يُصغي إليها.

من المنظور النفسي، يمكن قراءة هذا الصمت ضمن ما يسميه (يونغ، 1989م، ص 77) "الظلّ الجمعي"، وهو تراكم المشاعر المكبوتة التي لم تُواجه بعد.

فالجزائر ما بعد الاستقلال – كما تراها مستغانمي – تعيش في منطقة الصمت هذه، حيث اللاوعي الوطني مثقل بالدماء والخذلان، ولا يجد في اللغة سوى صدى الجرح.

ولذلك يتخذ خالد موقع "الذاكرة الصامتة"، فهو لا يعبّر بالكلمات بل باللوحات، يرسم بيده المبتورة ما لا تستطيع اللغة قوله. فالفن هنا امتداد للصمت، واللون تعويض عن العجز عن النطق.وهذا ما يجعل من الصمت هوية فنية ووطنية في آنٍ واحد.

**الصمت كمساحة لمواجهة التاريخ:**

تُقدّم مستغانمي الصمت في الرواية بوصفه أداة لمساءلة التاريخ، لا مجرّد نسيان له.فالصمت، في كثير من المقاطع، يُستخدم كوسيلة لرفض الرواية الرسمية للتاريخ، وكمقاومة رمزية ضد تزوير الذاكرة.

تقول حياة مخاطبة خالدًا: الوطن الذي نحبه لا يتكلم، لكنه يوجع".(مستغانمي، 1993م، ص 244)

هذا الصمت الذي "يوجع "يعبّر عن الخذلان السياسي الذي تلا الثورة، وعن إحساس المثقفين بالعجز أمام تكرار الخيبة. ووفقًا لرؤية (فرانز فانون، 1961م، ص 310)، فإن الشعوب الخارجة من الاستعمار تمرّ بمرحلة "الخرس الوطني"، حيث تفقد صوتها الحرّ أمام السلطة الجديدة.

وهكذا يتحوّل صمت خالد وحياة إلى تمثيل رمزي لصمت الأمة، أي ذلك الصمت الذي يخفي وراءه صراعًا بين الذاكرة والرغبة في النسيان.

تُبرز مستغانمي في هذا السياق أن الصمت ليس خنوعًا؛ بل موقف احتجاجي غير معلن، فالمثقف في الرواية لا يصرخ، بل يكتب بصمتٍ كثيفٍ يتجاوز اللغة الخطابية إلى لغة الوجدان.ومن هنا يمكن القول إن ذاكرة الجسد تُعيد تعريف المقاومة بوصفها فعلًا لغويًا صامتًا، لا بالضرورة صراخًا مباشرًا.

**الصمت والاغتراب بين الفرد والوطن:**

يتقاطع الصمت في الرواية مع الاغتراب الوجودي الذي يعيشه خالد بعد الحرب، إذ يشعر أنه فقد ذاته كما فقد وطنه.فهو يعاني ما يسميه (إريك فروم، 1955م، ص 212) بـ"الاغتراب الإنساني"، أي الانفصال بين الإنسان وبيئته، وبين ما يقول وما يشعر.ولذلك يصبح صمته تعبيرًا عن فقدان الانتماء، لا عن السكون.

يقول خالد في أحد المقاطع المؤثرة: صمتُ الوطن كان أعلى من أصواتنا".(مستغانمي، 1993م، ص 203)

هنا يتحول الوطن نفسه إلى كيان صامت، إلى ذاكرة تغمرها المسكوتات.إنه صمتٌ كليّ يعبّر عن انقطاع التواصل بين الفرد والجماعة، بين الجيل القديم وجيل ما بعد الثورة.وهذا الصمت يوازي ما أشار إليه (بارت، 1990م، ص 88) حين قال إن "الصمت في النصوص الكبرى لا يدل على النهاية بل على استحالة الاستمرار"،

أي أن الصمت في الرواية لا يعني نهاية الحكاية بل إعلان انهيار المعنى القديم وبداية البحث عن معنى جديد.

**الصمت كاستعارة للهوية الوطنية الممزّقة:**

إنّ الصمت في ذاكرة الجسد ليس فقط نتاج الألم أو الخذلان، بل هو أيضًا استعارة لهوية وطنية مأزومة.فحياة تمثل الجيل الجديد الذي وُلد في الاستقلال لكنه يفتقد لغة الانتماء، بينما خالد يمثل جيل الثورة الذي خسر لغته بالخذلان. وحين يصمت الاثنان، يلتقي الماضي بالحاضر في لحظة صمتٍ تاريخي تختصر ضياع المعنى الوطني.

يقول خالد: نحن جيل يتكلم كثيرًا، لكنه يقول أقل مما يصمت".(مستغانمي، 1993م، ص 230)

بهذه العبارة، تلخّص مستغانمي مأساة الجيلين :اللغة موجودة، لكن المعنى غائب.وهكذا يغدو الصمت هوية وطنية رمزية تعبّر عن انقطاع الذاكرة واستمرار الجرح.

وهكذا يُبرز تحليل الصمت في رواية ذاكرة الجسد أنه يتجاوز الفردي إلى الجماعي، ويتحوّل من تجربة نفسية إلى خطاب وطني رمزي.

فالصمت في الرواية هو لغة الذاكرة الموجوعة، وصوت الوطن الذي لم يجد بعدُ طريقة للكلام. ومن خلاله تُعيد مستغانمي تعريف الكتابة كفعل تذكّر ومساءلة، حيث تتحوّل الكلمات إلى جسور بين الحاضر والماضي، ويصبح الصمت أعمق أشكال التعبير عن الجرح.

إنّ ذاكرة الجسد تقدّم لنا وطنًا يتكلّم بالصمت، وشخصيات تبحث في اللاّقول عن معنى الكينونة، لتؤكد أن السكوت قد يكون أحيانًا أبلغ من كلّ الكلام.

**الصمت كجماليات لغوية وهوية أنثوية في رواية ذاكرة الجسد:**

تُعد رواية ذاكرة الجسد (1993م) من النصوص التي استطاعت أن تُعيد تشكيل مفهوم اللغة الأنثوية في الرواية العربية،إذ تجاوزت الكاتبة الثنائية التقليدية بين الكلام والصمت، لتجعل من الصمت نفسه لغة فنية وهوية أنثوية قائمة بذاتها.

فالصمت عند مستغانمي ليس انقطاعًا عن الكلام، بل هو أسلوب في الكتابة والتعبير،وهو ما يتقاطع مع ما سمّته (هيلين سيكسو، 1976م، ص 885) بـ"الكتابة الأنثوية"، أي الكتابة التي تعبّر عن الذات الأنثوية خارج حدود اللغة الذكورية المهيمنة.

**الصمت كجمالية لغوية:**

يتجلّى الصمت في ذاكرة الجسد كبنية لغوية جمالية تُنتج المعنى من خلال ما لا يُقال بقدر ما يُقال.فالكاتبة تُمارس في السرد نوعًا من الاقتصاد البلاغي،إذ تختصر الانفعال والوجع في جمل قصيرة مكثفة، تليها فراغات صامتة تتيح للقارئ المشاركة في إنتاج الدلالة.في أحد المقاطع، يقول خالد:

"لم أقل لها شيئًا ...لكنّها سمعت كلّ شيء".(مستغانمي، 1993م، ص 145)

هذا المقطع يختصر فكرة البلاغة الصامتة التي أشار إليها (صلاح فضل، 1992م، ص 91) حين قال إن "السكوت في النص ليس غيابًا بل بلاغة خفية تصنع المعنى."

الصمت هنا جماليّ لأنه يُعيد توزيع الإيقاع داخل الجملة ويخلق توترًا بين الحضور والغياب.كما تُلاحظ كثافة استخدام الأفعال الساكنة (صمت، سكت، أنصت، همس)، وهي أفعال تُبطئ حركة السرد وتحوّل اللغة إلى مشهد تأملي،فتصبح الجملة السردية أقرب إلى الشعر،وهو ما يتوافق مع ما قاله (رولان بارت، 1990م، ص 72). حول "لذّة الصمت "في النصوص التي تترك فجوات للخيال أكثر من التفسير.

الصمت إذًا ليس انقطاعًا لغويًا، بل إيقاع سردي يعادل بين الصوت والفراغ، ويُكسب النص نغمة موسيقية داخلية تميّز أسلوب مستغانمي عن غيرها من الكاتبات.

**الصمت كهُوية أنثوية وموقف وجودي:**

من منظورٍ نسوي، يتجاوز الصمت في الرواية حدود الجمال اللغوي ليصبح هوية أنثوية واعية.فـ حياة، البطلة، لا تصمت لأن الرجل يمنعها من الكلام؛ بل لأنها تدرك هشاشة اللغة أمام واقعها.إنها تختار الصمت كـ"موقف فكري وجمالي ضد التكرار وضد الاستهلاك اللفظي الذي يُفرغ الكلام من معناه".

تقول حياة: أخاف أن أتكلّم فيصير كلامي امتدادًا لصمتي". (مستغانمي، 1993م، ص 188)

بهذه العبارة، تحوّل مستغانمي الصمت من ضعف إلى سلطة رمزية ؛ فالصمت عندها فعلُ وعيٍ، لا سكون.

وهذا ما تؤكده (سارة ميتلاند، 2008م، ص 91) في كتاب الصمت حين ترى أن "النساء يجدن في الصمت مساحةً للحرية لا يمنحها الكلام." إذًا، حياة تصمت كي تتكلم بلغتها الخاصة، لا بلغة الآخر.

ويشير (جاك لاكان، 1977م، ص 210) إلى أن اللاوعي منظم مثل اللغة، وأن الصمت أحد أشكال "الكلام المكبوت."ومن هنا يمكن القول إن حياة تتحدث من خلال صمتها،فالسكوت عندها ليس فراغًا بل قولٌ مغاير يُعيد بناء العلاقة بين الذات والعالم،وهو ما يجعل الصمت عند مستغانمي شكلًا من أشكال الكتابة الأنثوية المضادة للخطاب الذكوري.

**الصمت بوصفه تمرّدًا على اللغة الذكورية:**

تُظهر الرواية أن اللغة التقليدية – كما يستعملها خالد – مشبعة بالهيمنة الذكورية، بينما تسعى حياة إلى تفكيك هذه اللغة بالصمت، أي بالانسحاب من نظام القول الذكوري الذي لا يمنحها حرية التعبير. إنها تدرك أن الكلام قد يكون قيدًا، وأن الصمت هو ما يتيح لها التحكّم في السرد.

يقول خالد واصفًا لحظة صمتها: حين تصمت، تبدو كمن يملك الحقيقة". (مستغانمي، 1993م، ص 164)

هذا التحوّل في المعنى يعبّر عن انقلاب رمزي في الأدوار:

الأنثى التي كان يُفترض بها أن تصغي فقط، أصبحت بالصمت صاحبة القرار.

وهنا نلمس ما تسميه (إلين شووالتر، 1985م، ص 12) بـ "خطاب المقاومة الأنثوية"، أي القدرة على تحويل الأدوات الذكورية نفسها إلى وسائل للمواجهة.

وهكذا يتحول الصمت من انفعال سلبي إلى قوة لغوية أنثوية،ومن غياب إلى حضور رمزي، فيصبح الصمت لدى حياة إعلانًا عن ذاتها ورفضًا للانمحاء،بينما يبقى خالد محاصرًا في لغة الكلام التي لا تنقذه من وحدته.

**الصمت كإبداع لغوي نسوي:**

من الجانب الفني، توظّف مستغانمي الصمت ضمن أسلوبها اللغوي المتميّز بالجمع بين النثر والشعر،فهي تُدخل الصمت إلى النسيج اللغوي نفسه من خلال التكرار الإيقاعي، والجمل المبتورة، والنقاط الثلاث .(...)

هذه التقنيات السردية تشكّل ما يسميه (صلاح فضل، 2003م، ص 201) بـ"التعبير بالإيحاء"، أي نقل العاطفة دون قولها صراحة.

يقول خالد: قالت عيناها ما عجز الكلام عنه". (مستغانمي، 1993م، ص 190)

في هذه اللحظة، يتحوّل السكوت إلى لغة بصرية، وتتحوّل الكتابة إلى مساحة تواصل غير لفظي بين الشخصيات.

وبذلك يصبح الصمت في الرواية أسلوبًا في التعبير عن الجمال والعمق،تمامًا كما في الشعر الصوفي، حيث يكون الصمت طريقًا إلى الكشف والمعرفة.

إنّ هذه الجمالية الأنثوية في الكتابة تُعيد بناء العلاقة بين اللغة والجسد،فالكلمة لم تعد وسيلة لتوصيل المعنى فحسب، بل أصبحت جسدًا لغويًا ينبض بالسكوت.

وبذلك تُحوّل مستغانمي فعل الصمت إلى إبداع لغوي أنثوي متكامل،يجمع بين الشعرية والفلسفة، بين الجسد والذاكرة.

من خلال هذه القراءة، يتّضح أن الصمت في ذاكرة الجسد ليس مجرّد غيابٍ للكلمة، بل موقف جمالي ووجودي.فهو في آنٍ واحد أسلوب لغوي يُنتج الجمال عبر الحذف،وهوية أنثوية تُعيد للمرأة صوتها من خلال سكوتها.

لقد استطاعت مستغانمي أن تجعل من الصمت أداة بلاغية للتحرّر، ومن اللغة نفسها ساحة صراعٍ بين الصوت والسكوت. إنها تكتب بصوتٍ صامت، يُنصت أكثر مما يتكلّم، ويقول بالكتمان ما لا يُقال بالتصريح .

يُظهر التحليل التطبيقي لرواية ذاكرة الجسد أن الصمت ليس مكوّنًا عرضيًا في البنية السردية، بل هو الركيزة الجمالية والنفسية والفكرية التي تُبنى عليها الرواية بأكملها.

فهو اللغة المضمرة التي تحكم علاقة الشخصيات بذواتها وبالعالم،وهو الأداة التي تعبّر من خلالها أحلام مستغانمي عن الذاكرة، والجرح، والهوية، والأنوثة، والوطن في آنٍ واحد.

يتجلّى الصمت في شخصية خالد بن طوبال بوصفه آلية دفاع نفسي أمام الفقد والخذلان، فهو الفنان الذي صمت كي لا ينهار، واستعاض عن القول بالكتابة والرسم.أما حياة، فهي الوجه الأنثوي للصمت، تمارسه كقوة رمزية ورفض واعٍ للغة الذكورية المهيمنة.وفي تفاعلهما، يولد حوار صامت عميق يُجسّد الجرح الوجداني الجمعي،حيث يصبح السكوت بينهما أكثر بلاغة من أي حوار منطوق.

ومن منظورٍ جمالي، جسّدت مستغانمي الصمت كبنية لغوية عبر البياض النصي، وتقطيع الجمل، وإيقاع الوقفات،فجعلت من السرد فضاءً صوتيًا يتردّد فيه الصمت كإيقاع موسيقي داخلي.إنها تُعيد للسكوت حضوره البلاغي،وتحوّله إلى نظام من العلامات التي تتجاوز حدود اللغة المنطوقة نحو فضاء التأمل والمعنى.

أما على المستوى الرمزي، فقد مثّل الصمت ذاكرة وطنية مكلومة،تحمل صدى الثورة الجزائرية والخذلان السياسي ما بعد الاستقلال،حيث تحوّل السكوت إلى صوتٍ جمعي يُعبّر عن ما لم تستطع الشعارات قوله.

إنّ الوطن في الرواية ليس متكلّمًا بل صامتًا يوجع،في إشارة إلى عجز الخطاب الوطني عن احتواء جراح الواقع. وفي بعدها النسوي، قدّمت مستغانمي الصمت بوصفه هوية أنثوية تحرّرية،تُعيد من خلاله المرأة بناء لغتها الخاصة خارج هيمنة الخطاب الذكوري.فحياة لا تصمت عن خوف، بل تختار الصمت كقوة لغوية بديلة،وبذلك يتحوّل السكوت إلى أداة استعادة للذات، لا إلى نفيٍ لها.إنّ الصمت في ذاكرة الجسد هو لغة المقاومة الجمالية والنفسية،وليس غيابًا للقول، بل قولًا من نوعٍ آخر،قولًا يُقال بلا كلمات، ويمتدّ عبر الفراغات، والنظرات، والذكريات.

لقد نجحت مستغانمي في جعل الصمت بطلاً سرديًا موازياً للشخصيات،يمتلك صوته الخاص وحضوره المهيمن في كلّ مستويات النص: من التكوين النفسي للشخصيات، إلى البنية الجمالية، إلى البعد الرمزي والنسوي.

وهكذا يمكن القول إنّ ذاكرة الجسد تمثل واحدة من أهم التجارب الروائية العربية التي حوّلت الصمت من حالة إلى خطاب، ومن سكون إلى فعلٍ جماليٍّ ومعرفيٍّ وإنسانيّ.فهو في آنٍ واحد لغة الذاكرة، وبلاغة الغياب، وصوت الروح الذي يتكلّم حين تعجز اللغة عن النطق.

يُعدّ الصمت في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ظاهرةً جمالية ونفسية عميقة، استطاعت الكاتبة من خلالها أن تخلق خطابًا مغايرًا للقول المألوف في الرواية العربية الحديثة.فالصمت في هذا العمل ليس غيابًا للكلام، بل حضور مفعم بالدلالة والمعنى، يتجاوز حدوده اللغوية ليصبح وسيلةً للتعبير عن الجرح الإنساني والوطني والأنثوي في آنٍ واحد.

لقد كشفت الدراسة النظرية عن تنوّع مقاربات الصمت بين المنظور النفسي الذي يرى فيه آلية دفاع وكبتًا عاطفيًا، والمنظور الأدبي والجمالي الذي يعدّه بنية فنية لإنتاج المعنى.

ثم جاءت الدراسة التطبيقية لتبيّن كيف استطاعت مستغانمي أن توظّف هذه المفاهيم في نسيجها السردي، عبر شخصياتٍ تتكلّم بالصمت أكثر مما تقول بالكلام.

يتجلّى الصمت في شخصية خالد بوصفه لغة الجرح والخذلان، وآلية دفاع نفسي تحمي الذات من الانكسار،بينما يصبح عند حياة قوة أنثوية واعية تعبّر بها عن ذاتها خارج سلطة الخطاب الذكوري.

أما في البنية السردية، فإن الصمت يتبدّى كأداة فنية تُنظّم الإيقاع، وتخلق فراغات بيضاء تحتضن التأمل والمعنى، وفي البعد الوطني، يتحوّل إلى ذاكرة جمعية تحمل جراح الجزائر ما بعد الثورة. وبذلك، يمكن القول إن مستغانمي جعلت من الصمت بطلًا سرديًا موازٍ للكلمة، يحمل وظيفة فكرية وجمالية في آنٍ واحد. فهو عندها لغة مزدوجة :تُخفي لتُفصح، وتسكت لتقول، لغة تحوّل العجز إلى إبداع، والسكوت إلى مقاومة، والغياب إلى حضور شعري دائم.

## الخاتمة:

إنّ دراسة الصمت في ذاكرة الجسد تُبرز عمق التجربة الروائية العربية المعاصرة في تفكيك العلاقة بين القول واللاّقول، الصوت والسكوت، والبوح والكتمان.

فالرواية تُعيد للسكوت قيمته البلاغية، وتجعله أداة للتأمل والفهم، ومجالًا للبحث في ماهية الإنسان والهوية والوطن.

## النتائج:

بناءً على ما تقدّم، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

الصمت في الرواية ليس انقطاعًا عن التواصل، بل شكل من أشكال القول المعقّد الذي يتجاوز اللغة المنطوقة.

يمثّل الصمت عند خالد آلية دفاع نفسي تعبّر عن الكبت والخيبة،وعند حياة قوة رمزية أنثوية تمكّنها من إعادة تعريف ذاتها.

الصمت عنصر جمالي سردي يضبط الإيقاع ويُسهم في بناء المعنى عبر الفجوات والفراغات النصية.

على المستوى الوطني، يعبّر الصمت عن الذاكرة الجمعية والخذلان التاريخي بعد الثورة الجزائرية.

استطاعت مستغانمي أن تجعل من الصمت لغةً موازية للكتابة، تُعيد تشكيل مفهوم التواصل في الأدب العربي الحديث.

## الاستنتاج:

يؤكد هذا البحث أن الصمت في الأدب ليس نقيض الكلام،بل هو امتداده الأعمق والأصدق،وأنه عند أحلام مستغانمي يتحوّل إلى جسرٍ بين اللغة والذاكرة، بين الذات والوطن، بين المرأة والكتابة.

وهكذا تغدو ذاكرة الجسد نصًّا يبوح عبر صمته، ويكتب من مساحة الغياب حضورًا لا يزول.

## المصادر والمراجع:


1. ابن منظور، لسان العرب، مادة: صمت
2. أبو ديب، كمال، (1999م)، الصمت والسلطة في الأدب العربي الحديث، بيروت: المركز الثقافي العربي.
3. بارت، رولان، (1990م)، لذة النص، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء: دار توبقال.
4. بارت، رولان، (1992م)، درجات الصفر في الكتابة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، الدار البيضاء: دار توبقال.
5. البازعي، سعد، (2005م)، بلاغة الصمت، ضمن في تحديث الثقافة العربية، الرياض: المركز الثقافي العربي.
6. بركات، هدى، (1998م)، حجر الضحك، بيروت: دار الآداب.
7. جنيت، جيرار، (1980م)، خطاب الحكاية، باريس: دار سوي.
8. سيكسو، هيلين، (1976م)، ضحك الميدوسا Signs، المجلد 1، العدد 4.
9. شتاينر، جورج، (1967م)، اللغة والصمت: مقالات حول الأدب واللاإنساني، نيوهافن: جامعة ييل.
10. شووالتر، إلين، (1985م)، الكتابة النسوية، لندن: روتليدج.
11. غوفمان، إرفنغ، (1959م)، عرض الذات في الحياة اليومية، نيويورك: دار دبلداي.
12. فانون، فرانز، (1961م)، معذبو الأرض، باريس: ماسبيرو.

13. فروم، إريك، (1955م)، الهروب من الحرية، نيويورك: دار فارار.
14. فرويد، سيغموند، (2008م)، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، القاهرة: دار الثقافة.
15. فضل، صلاح، (2003م)، أساليب السرد في الرواية العربية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16. فضل، صلاح، (1992م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، بيروت: دار سعاد الصباح.
17. فيتغنشتاين، لودفيغ، (1961م)، الرسالة المنطقية الفلسفية، لندن: روتليدج.
18. كنفاني، غسان، (19621)، رجال في الشمس، بيروت: دار الآداب.
19. لاكان، جاك، (1977م)، مختارات من الكتابات، نيويورك: دار نورتن.
20. مستغانمي، أحلام، (1993م)، ذاكرة الجسد، بيروت: دار الآداب.
21. ميتلاند، سارة، (2008م)، كتاب الصمت، لندن: دار غرانتا.
22. ياكبسون، رومان، (1960م)، البيان الختامي: علم اللغة والشعرية، ضمن الأسلوب في اللغة، تحرير توماس سيبوك، كامبردج: معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.
23. ياوس، هانز، (1982م)، جمالية التلقي، ميونخ: جامعة ميونخ.
24. يونغ، كارل، (1989م)، الأنماط الأصلية واللاوعي الجمعي، برنستون: مطبعة جامعة برنستون.

**المراجع الأجنبية:**

25. Lao Tzu. (1963). Tao Te Ching (D.C. Lau, Trans.). London: Penguin Books.
26. Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1984). Stress, Appraisal, and Coping. New York: Springer.
27. Lazarus, R. S. (1991). Emotion and Adaptation. New York: Oxford University Press.